الضحك

الضحك من صفات الله تعالى، وهي صفة كمال ثابتة على الوجه اللائق به سبحانه، وقد جاءت في ضحك الرحمن أحاديث كثيرة، منها ما هو في الصحيحين، وصفات الله نُثْبِتها بلا تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل ولا تأويل، قال الإمام الآجري: "اعْلَمُوا، وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ لِلرَّشَادِ مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ : أَنَّ أَهْلَ الْحَقِّ يَصِفُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ عَزَّ وَجَلَّ , وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ , وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .وَهَذَا مَذْهَبُ الْعُلَمَاءِ ، مِمَّنِ اتَّبَعَ وَلَمْ يَبْتَدِعْ .وَلَا يُقَالُ فِيهِ: كَيْفَ؟ بَلِ التَّسْلِيمُ لَهُ ، وَالْإِيمَانُ بِهِ : أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَضْحَكُ .كَذَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَنْ صَحَابَتِهِ .وَلَا يُنْكِرُ هَذَا إِلَا مَنْ لَا يُحْمَدُ حَالُهُ عِنْدَ أَهْلِ الْحَقِّ .وَسَنَذْكُرُ مِنْهُ مَا حَضَرَنَا ذِكْرُهُ ، وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ لِلصَّوَابِ ، وَلَا قُوَّةَ إِلَا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ" .

عن أبي رزين العقيلي –رضي الله عنه – قال

قال رسول الله ﷺ : "**ضحِك ربُّنا** من قُنوطِ عبادِهِ وقُربِ غِيَرِهِ" . قال : قلتُ : يا رسولَ اللهِ ! **أوَيضحكُ الربُّ** ؟ قال – ﷺ –: نعم . قلتُ : لن نعدِمَ من ربٍّ **يضحَكُ** خيرًا.

فعَن ابْن مَسْعُودٍ –رضي الله عنه– قال :

ألا تسألوني ممَّ **ضَحِكْتُ**؟ قالوا: وممَّ تضحَكُ؟ قالَ: هَكَذا فعلَ رسولُ اللَّهِ فقالَ: "ألا تسألوني ممَّ **ضَحِكْتُ**؟" قالوا: وممَّ تضحَكُ يا رسولَ اللَّهِ؟ قالَ: "مِن **ضَحِكِ ربِّ** العالمينَ".

عن أبي الدرداء –رضي الله عنه– قال:

قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ثَلَاثَة يُحِبهُمْ الله، **ويضحك إِلَيْهِم**، ويستبشر بهم".

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ **أَضْحَكَ** وَأَبْكَى ﴾

قال الطبري –رحمه الله– : "أضْحَكَ مَن شاءَ مِن أهْلِ الدُّنْيا، وأبْكى مَن أرادَ أنْ يُبْكِيَهُ مِنهُمْ". وقال ابن كثير – رحمه الله–: "خَلَقَ فِي عِبادِهِ الضَّحِكَ، والبُكاءَ وسَبَّبَهُما وهُما مُخْتَلِفان".

عن ابن مسعود –رضي الله عنه– قال:

"**فضحك النبي –صلى الله عليه وسلم– حتى بدت نواجذه**".

قال ابن منظور–رحمه الله– : النَّواجذ أَقصى الأَضراس، وهي أَربعة في أَقصى الأَسنان.

وقال ابن حجر -رحمه الله-: "فضحك حتى بدت نواجذه، والنواجذ هي الأضراس، ولا تكاد تظهر إلا عند المبالغة في الضحك".

عن عبدالله -رضي الله عنه- قال:

"فلقد رأيتُ رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- **ضحك حتى بدت نواجذه**، وكان يقال: ذلك أدنى أهل الجنة منزلةً".

عن أبي ذر -رضي الله عنه- قال:

"لقد رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- **ضحك حتى بدت نواجذه**".

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ هَلَكْتُ وَقَعْتُ عَلَى أَهْلِى فِى رَمَضَانَ. قَالَ «أَعْتِقْ رَقَبَةً». قَالَ لَيْسَ لِى. قَالَ «فَصُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ». قَالَ لاَ أَسْتَطِيعُ. قَالَ «فَأَطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا». قَالَ لاَ أَجِدُ. فَأُتِىَ بِعَرَقٍ فِيهِ تَمْرٌ - قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْعَرَقُ الْمِكْتَلُ فَقَالَ «أَيْنَ السَّائِلُ تَصَدَّقْ بِهَا». قَالَ عَلَى أَفْقَرَ مِنِّى وَاللَّهِ مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنَّا. **فَضَحِكَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ**. قَالَ «فَأَنْتُمْ إِذًا».

عن زيد بن أرقم –رضي الله عنه– قال:

أُتِيَ عليٌّ –رضي الله عنه– بثلاثة –وهو باليمن– وقعوا على امرأة في طُهْرٍ واحد، فسأل اثنين: "أتُقِرَّان لهذا بالولد؟"، قالا: "لا"، ثم سأل اثنين: "أتُقِرَّان لهذا بالولد؟"، قالا: "لا"، فأَقْرَعَ بينهم فألْحَقَ الولدَ بالذي صارت عليه القرعة، وجعل عليه ثلثي الدية، فذَكَرَ ذلك للنبي –صلى الله عليه وسلم–، **فضحك حتى بدت نواجذه**".

عن أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها – قالت:

ضحك –صلى الله عليه وسلم– حتى بدت نواجذه، فقال: "أَشهَدُ أنَّ اللهَ على كل شيء قدير، وأني عبدُ الله ورسوله".

وعن أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه– قال:

قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "تكونُ الأرض يوم القيامة خُبْزَةً واحدةً، يَتَكَفَّؤُها الجبارُ بيده كما يَكْفَأُ أحدُكم خُبزتَه في السفر، نُزُلًا لأهل الجنة " فأتَى رجلٌ من اليهود فقال: بارَك الرحمنُ عليك يا أبا القاسم، ألَا أخبرُكَ بنُزُل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال: "بلى " قال: تكونُ الأرضُ خُبْزَةً واحدةً كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم– فنَظَرَ النبيُّ –صلى الله عليه وسلم– إلينا **ثم ضحك حتى بدت نواجذه**".

وعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال:

خرج النبي ﷺ على رهط من أصحابه **يضحكون** ويتحدثون فقال ﷺ: "والذي نفْسي بيدِهِ، لو تعلَمونَ ما أعلَمُ، لَضحِكْتُمْ قليلًا، ولَبكَيْتم كثيرًا"، ثم انصرَفَ – النبي ﷺ – وأبكى القومَ –أي الصحابة رضي الله عنهم أجمعين – ، **وأوحى اللهُ عزَّ وجلَّ إليه –أي إلى النبي ﷺ–: "يا مُحمَّدُ، لِمَ تُقنِطُ عِبادي؟" فرجَعَ –النبي ﷺ لأصحابه– فقال: "أبشِروا، وسَدِّدوا، وقارِبوا"**.

وعن جابر بن سمرة –رضي الله عنه– قال:

"جالَسْتُ رسولَ اللهِ –صلَّى اللهُ عليه وسلَّم– أكثرَ مِن مائةِ مرَّةٍ ، فكان أصحابُه يتناشَدونَ الشِّعرَ ويتذاكَرونَ أشياءَ مِن أمرِ الجاهليَّةِ وهو ساكتٌ **وربَّما تبسَّم معهم** –صلَّى اللهُ عليه وسلَّم–".

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال :

قالوا – أي بعض الصحابة – : يا رسولَ اللَّهِ ! **إنَّكَ تداعِبُنا** ؟ ! قال – ﷺ – : " نعم ، غيرَ أنِّي لا أقولُ إلَّا حقًّا ".

وصح عن بلال بن سعد التابعي –رحمه الله– أنه قال:

"أدركتهم يشتدون بين الأغراض، **ويضحك بعضهم إلى بعض**".

وصح عن بكر بن عبد الله التابعي – رحمه الله – أنه قال:

"كان أصحاب النَّبي صلى الله عليه وسلم، **يَتبادَحون بالبطِّيخ**، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرِّجال".

قلت : المؤمن المتشرب لحقائق الإيمان المقتدي بما كان عليه أصحاب النبي ﷺ ، حياتُه حميدة؛ وعيشه كريم؛ صادق النية؛ طاهر القصد؛ حسن الظن؛ مطمئن القلب؛ مستسلم لعبودية الله؛ راع لرعيته؛ مفتقر لربه؛ إن أصابته سراء شكر؛ وإن أصابته ضراء صبر؛ فهو متقلب بين الشكر والصبر لربه، تجده طَلِق الوجه؛ مبتسما؛ نشطا؛ جلدا؛ لا يتكلف؛ ولا يتصنع؛ و قد تعرض له عوارض الدنيا فيحزن قلبه؛ وتدمع عينه؛ وكذلك تجده يضحك مما يُضْحَك منه، وقد تبدو نواجذه ولكنه لا يكثر الضحك، قال ﷺ:

"لا تكثروا الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب".

والمسلم يمزح ويمرح ويفرح ؛ ولكنه لا يفعل ولا يقول إلا حقاً، قال ﷺ:

"إنِّي لأمزح، ولا أقول إلَّا حقًّا".

فالمسلم عابد لله ، صاحب جد واجتهاد، وإيمانه كالجبال؛ يقتدي ولا يبتدي في أمر دينه، ثابت على الأثر؛ يعمل بالأسباب؛ ويتقن عمله؛ ويده العليا، قال ﷺ: "اليد العليا خير من اليد السفلى"، وهو مستغني بما وجد عما لا يجد، تجده نبع وفاء يتمم عهد الأخوة ولا ينقض، يخفض جناحه، ويلين جانبه، مسرور بما أعطاه الله، حياته مثمرة، وعمله منتج، لا ينظر لمن فوقه؛ ويريد لهم الخير، ويرحم من هو أسفل منه؛ ويعينهم بالإحسان والإفضال، قلبه طاهر مخموم؛ لا بَغْي فيه؛ ولا غِل؛ ولا حسد؛ ولا طول أمل.

صح عن علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– أنه قال:

"إن اخوف ما أتخوف عليكم اثنتين: اتباع الهوى، وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة، وارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل".

كتبه: **الشيخ محمد عثمان العنجري**

الخميس 8 ذي الحجة 1443هـ

الموافق 7 يوليو 2022م